



وأشار أوتو فون بسمارك ذات مرة إلى ملاحظة من أن أهم الإشكاليات "لا تُقرَر من خلال الخطابات أو قرارات الأغلبية، ولكن من خلال الحديد والدماء".

كان يتحدث عن توحيد ألمانيا في العصر التاسع عشر، لكن كلماته تبدو مناسبة بالقرن نفسه على الوضع في سوريا. سنوات من إلقاء الخطاب الغربي لم تتحقق شيئاً، ومستقبل سوريا يُقرَر بشكل فعال من قبل روسيا وإيران – قوتان مهتمتان بمدّ النظام السوري بالقوات والدبابات والأسلحة أكثر من اهتمامهما بالكلام.

الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في نيويوركاليوم مع جماعة من القادة الغربيين، ولابد أنه يتسم ضمنياً لخطط ديفيد كاميرون الذي ينوي تقديمها للأمم المتحدة والتي تتضمن مبادرات جديدة لإنها الحرب الأهلية في سوريا.

السيد كاميرون كان يتحدث بشكل صارم عن بشار الأسد، مصراً على أن الموقف البريطاني للأسد لم يتغير، وأن الرئيس السوري يجب أن يمثل في النهاية أمام محكمة جرائم الحرب يوماً ما.

في الواقع، بريطانيا وحلفاؤها استغفوا بشكل ثابت عن خطهم الأحمر السابق، والذي كان يقول بأن الأسد لا بد أن يرحل، قبل حتى أن تبدأ محادثات السلام في سوريا. وقد انخفضت اللهجة الآن إلى: "عليه" الرحيل، بدون تحديد موعد لرحيله.

لقد حدث هذا التمييع المتحفظ للخط اتجاه الأسد رداً على الأحداث التي تقع على أرض سوريا. تهميش المعارضة السنوية المعتدلة، ومتانة النظام غير المتوقعة، وظهور "داعش" منذ فترة طويلة رمت حسابات الغرب الأصلية بشأن سوريا في حالة من الفوضى.

إذا قبلت بريطانيا والولايات المتحدة وحلفاؤهما – بأن الأسد قد يتم إدراجه في حكومة انتقالية، فهذا لا يمكن تسميته بأكثر من كونه سياسة واقعية.

يهيمن الخوف من "داعش" على التفكير الغربي كله حول سوريا، ولهذا السبب مرّ انضمام التدخل الروسي-الإيراني إلى

جانب الأسد دون تعليق تقريرياً، ولهذا السبب لم تعد بريطانيا والولايات المتحدة تتحدثان مع قناعتهما القديمة بوجوب رحيله الوشيك.

كلام الغرب ليس فيه الكثير من التماسك. فألمانيا تقول إن الأسد يجب أن يكون له دور في أية محادثات سلام سورية، وفرنسا تقول بعكس ذلك - والتي تقوم بالوقت نفسه بشن غارات جوية على أهداف "داعش"، وليس على الأسد.

ربما لا يوجد بديل للحياة مع الأسد حالياً، ولكن من المأساة القول بأن المعارضة المعتدلة لنظام الأسد تبدو وكأنها أُغبيت، وأن الخيار الآن بين اثنين لا ثالث لهما: إما الأسد أو "داعش".

كما لو أن واحدةً من هذه القوى تستطيع جلب السلام لسوريا، وأن هذه الحرب البشعة مُقدر لها الاستمرار.

(ترجمة السورية نت)

المصادر: